سلسلة لباب التربية ⑦

هدي السلف الصالح في التربية

وسائل عملية

أول الخلق

تأليف

د. طالب بن عمر بن حمدة الكثيري

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

زكىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أخلاق نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم:٤]، وهو من أخبرنا عن بعثته للناس، فقال: «إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق»، أخرجه أحمد عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد سُئلتْ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن خلقه، فقالت: كان خلقه القرآن»، أخرجه مسلم، وقد أمرنا ربنا جَلَّجَلَالُهُ بالتأسي بأخلاق رسولنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

ومن أخلاقه العظيمة:

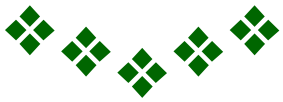

خلق الشجاعة

الشجاعة: هي ثبات القلب، فلا تزعجك المخاوف، وقد تحصل بالتمرين على الجرأة والإقدام، وإنما يتحقق كمالها بقوة التوكل على الله، وأقوانا توكّلًا على ربّه رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل**»، أخرجه أبو داود، ويمدّ ذلك الإكثار من ذكر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [سورة الأنفال:٤٥].

وقد قيل: (الشّجاع محبّب حتّى إلى عدوّه، والجبان مبغّض حتّى إلى أمّه)، وقد تظهر الشجاعة في القول أو في الفعل، ويفرق بين الشجاعة والتّهوّر أن الشجاعة تكون عند الحاجة إليها، وبعد انتظار الفرصة المناسبة للإقدام.

وأوضح ما تظهر للآخرين فيه شجاعتك أمران:

الأول: الإقدام عند الفزعة والخوف: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة المائدة:٢٣] .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس وجهًا، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس من قِبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وفي رواية: وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس عُري - لا سرج عليه ولا غيره - لأبي طلحة، في عنقه السيف، وهو يقول: (لن تراعوا)، يردهم»، أخرجه ابن ماجه.

قال العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شهدت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم نفارقه، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بغلة له

بيضاء، فلما التقىٰ المسلمون والكفار، ولىٰ المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض علىٰ بغلته قِبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها؛ إرادة ألّا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، - وفي رواية: وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزّلْ نصرك**»، قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ -، فقال رسول الله ﷺ: «**أي عباس، نادِ أصحاب السمرة**»، وكان رجلًا صيتًا - أي قوي الصوت-، فقلت بأعلىٰ صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله، لكأنّ عطْفتَهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، ثم نادىٰ الأنصار، ثم بني الحارث بن الخزرج، فتلاحقوا نحوه، فنظر رسول الله ﷺ وهو علىٰ بغلته كالمتطاول عليها إلىٰ قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: هذا حين حمي الوطيس، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمىٰ بهن وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب محمد» أخرجه مسلم.

والثاني: الثبات عند الاضطراب وفرار الناس، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [سورة الأنفال:٤٥].

قيل لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا جالت الخيل، فأين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ -أي نحتمي- بالنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أقربنا إلىٰ العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأسًا.

وفي البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا علىٰ شجرة ظليلة، تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين، وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه، فقال: تخافني؟ قال: «**لا**»، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «**الله**»، وعند أحمد: قال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، فقال: «**من يمنعك مني؟**» قال: كنْ كخير آخذ، قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله؟**» قال: لا، ولكني أعاهدك ألّا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّىٰ سبيله، قال: فذهب إلىٰ أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير الناس.

وقد قيل: « الرّجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل، فالفارس: الّذي يشدّ إذا شدّوا، والشّجاع: الدّاعي إلىٰ البراز والمجيب داعيه، والبطل: الحامي لظهورهم إذا انهزموا ».

خلق الكرم

الكرم هو: سخاوة النفس، فيبذل المال الكثير بطيبة نفس، قال الحسن البصري: « بذل المجهود في بذل الموجود منتهىٰ الجود »، وإنما يتحقق كماله مع قوة حسن الظن بالله تعالىٰ، وقد كان نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أحسن الناس ظنًّا بربه، شعاره: «أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالًا» أخرجه البزار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سورة سبأ:٣٩].

وقد قيل: « كل عيب يستره الكرم »، ويفرق بينه وبين السرف أن السرف كثرة الإنفاق في غير محله، والكرم أن ينفق في محله.

وأوضح ما يظهر للآخرين فيه كرمك أمران:

الأول: كثرة الإعطاء والسخاء: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [سورة البقرة:٢٧٤].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة» متفق عليه؛ أي الريح المطلقة التي يدوم هبوبها، ويعمّ نفعها، وعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: كنتُ أمشي مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حرة المدينة، فاستقبلنا أُحد، فقال: «**يا أبا ذر**»، قلتُ: لبيك، يا رسول الله، قال: «**ما يسرني أن عندي مثل أُحد هذا ذهبًا، تمضي عليَّ ثالثة، وعندي منه دينار إلا شيئًا أرصده لدَين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم مشىٰ، ثم قال: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا مَن قال هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، «**وقليل ما هم**» متفق عليه.

وعن عبد الله الهوزني قال: لقيتُ بلالًا مؤذن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحلب، فقلت: يا بلال، حدِّثني كيف كانت نفقة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ قال: ما كان له شيء، كنتُ أنا الذي أَلِي ذلك منه منذ بعثه الله إلىٰ أن تُوفِّي، وكان إذا أتاه الإنسان مسلمًا، فرآه عاريًا يأمرني فأنطلق، فأستقرض، فأشتري له البردة، فأكسوه، وأطعمه، حتىٰ اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعة، فلا تستقرض من أحد إلا مني، ففعلتُ، فلما أن كان ذات يوم توضأتُ، ثم قمتُ لأؤذّن بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار، فلما أن رآني قال: يا حبشي، قلتُ: يا لبّاه، فتجهّمني، وقال لي قولًا غليظًا، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قال: قلتُ: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع، فآخذك بالذي عليك، فأردكَ ترعىٰ الغنم كما كنتَ قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، حتىٰ إذا صليتُ العتمة رجع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ أهله، فاستأذنتُ عليه، فأذِن لي، فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي إن المشرك الذي كنتُ أتديّن منه قال لي كذا وكذا، وليس عندكَ ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي، فأذن لي أن آبق إلىٰ بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا؛ حتىٰ يرزق الله رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما يقضي عني، فخرجتُ حتىٰ إذا أتيت منزلي، فجعلتُ سيفي وجرابي ونعلي ومِجَنّي عند رأسي، حتىٰ إذا انشق عمود الصبح الأول أردتُ أن أنطلق، فإذا إنسان يسعىٰ يدعو: يا بلال، أجب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فانطلقتُ حتىٰ أتيته، فإذا أربعُ ركائبَ مُناخاتٌ عليهنّ أحمالهن، فاستأذنتُ، فقال لي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أبشر، فقد جاءك الله بقضائك**»، ثم قال: «**ألم ترَ الركائب المناخات الأربع؟**» فقلت: بلىٰ، فقال: «**إن لك رقابهن وما عليهن، فإن عليهن كسوة وطعامًا، أهداهن إليّ عظيم فدك، فاقبضهن، واقضِ دينك**»، ففعلتُ، فذكر الحديث، ثم انطلقتُ إلىٰ المسجد، فإذا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قاعد في المسجد، فسلمتُ عليه، فقال: «**ما فعل ما قِبَلك؟**» قلت: قد قضىٰ الله كل شيء كان علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فلم يبق شيء، قال: «**أفَضَلَ شيء؟**» قلت: نعم، قال: «**نظر أن تريحني منه، فإني لستُ بداخلٍ علىٰ أحدٍ من أهلي حتىٰ تريحني منه**»، فلما صلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ العتمة دعاني، فقال: «**ما فعل الذي قِبَلك؟**» قال: قلتُ: هو معي لم يأتنا أحد، فبات رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المسجد، وقصَّ الحديث، حتىٰ إذا صلىٰ العتمة - يعنىٰ من الغد - دعاني، قال: «**ما فعل الذي قِبَلك؟**» قال: قلتُ: قد أراحكَ الله منه، يا رسول الله، فكبّر، وحمد الله شفقًا من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتبعته، حتىٰ إذا جاء أزواجه، فسلم علىٰ امرأةٍ امرأةٍ، حتىٰ أتىٰ مبيته، فهذا الذي سألتني عنه. أخرجه أبو داود.

الثاني: الإعطاء بالسهولة وطيبة النفس، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر:٩].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا قطّ فقال: لا» متفق عليه، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنّ رجلا سأل النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنمًا بين جبلين، فأعطاه إيّاه، فأتىٰ قومه، فقال: أيْ قومِ، أسلموا، فواللهِ إنّ محمّدًا ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر» أخرجه مسلم.

عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «نزل بنا ضيف بدوي، فجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام بيوته، فجعل يسأله عن الناس؛ كيف فرحهم بالإسلام؟ وكيف حدبهم علىٰ الصلاة؟ فما زال يخبره من ذلك بالذي يسره حتىٰ رأيت وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَضِرًا، فلما انتصف النهار، وحان أكل الطعام دعاني مستخفيًا لا يألو: أن ائت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأخبرها أن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضيفًا، فقالت: والذي بعثه بالهدىٰ ودين الحق ما أصبح في يدي شيء يأكله أحد من الناس، فردّني إلىٰ نسائه، كلهن يعتذرن بما اعتذرتْ به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فرأيتُ لون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُسِفَ، فقال البدوي: إنا – أهلَ البادية – معانون علىٰ زماننا، لسنا بأهل الحاضرة، فإنما يكفي القبضة من التمر يشرب عليها من اللبن أو الماء، فذلك الخِصب! فمرتْ عند ذلك عنزٌ لنا قد احتُلبت، كنا نسميها (ثمر ثمر)، فدعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمها: (ثمر ثمر)، فأقبلت إليه تحمحم، فأخذ برجلها باسم الله، ثم اعتقلها باسم الله، ثم مسح سُرّتها باسم الله، فحفلت، فدعاني بمِحلَب، فأتيته به، فحلب باسم الله، فملأه، فدفعه إلىٰ الضيف، فشرب منه شربة ضخمة، ثم أراد أن يضعه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عِلْ**»، ثم أراد أن يضعه، فقال له: «**عِلْ**»، فكرره عليه حتىٰ امتلأ، وشرب ما شاء، ثم حلب باسم الله، وملأه، وقال: «**أبلغْ عائشة هذا**»، فشربتْ منه ما بدا لها، ثم رجعتْ إليه، فحلب فيه باسم الله، ثم أرسلني به إلىٰ نسائه، كلما شرب منه رددته إليه، فحلب باسم الله فملأه، ثم قال: «**ادفعه إلىٰ الضيف**»، فدفعتُه إليه، فقال: باسم الله، فشرب منه ما شاء الله، ثم أعطاني، فلم آلُ أنْ أضع شفتي علىٰ درَج شفته، فشربتُ شرابًا أحلىٰ من العسل، وأطيب من المسك، ثم قال: «**اللهمّ بارك لأهلها فيها؛ يعني العنز**» صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

خلق الحِلم

الحِلم: هو هدوء النفس، فيضبط نفسه عند هيجان الغضب، فهي رزانة وطمأنينة يقتضيها وفور العقل، فلا يستفزّه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله علىٰ المسارعة إلىٰ الانتقام عجلة وطيش، وقد يكون سجية، وقد يكون تكلفًا، وفي الحديث: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرّ الخير يعطه، ومن يتقِ الشر يوقَه**» صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وأعظم ما يدعو إليه: أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعدّيه حرماته، فيحلم عن غيره؛ رجاء أن يحلم الله عنه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النور:٢٢].

وقد قيل: (الحلم سيد الأخلاق)، ويفرق بينه وبين كظم الغيظ: أن كظم الغيظ هو تكلف الحلم لمن هاج غيظه، فيدفعه بمجاهدة نفسه بكظمه، أما الحلم فذاك الذي لا يهيجه غيظ.

وأوضح ما يظهر للآخرين فيه حِلمك أمران:

الأول: الأناة والتؤدة عند الغضب، والعفو عمن ظلمه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنتُ أمشي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتىٰ نظرت إلىٰ صفحة عنق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أثّرتْ بها حاشية الرداء من شدة جبذته»، وفي رواية لمسلم: ثم جبذه إليه جبذة رجع نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نحر الأعرابي، وفي أخرىٰ: فجاذبه حتىٰ انشق البُرد، وحتىٰ بقيتْ حاشيته في عنق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضحك، ثم أمر له بعطاء» متفق عليه.

قال لقمان الحكيم: « ثلاثة لا يعرفون إلّا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب، ولا الشّجاع إلّا عند الحرب، ولا الأخ إلّا عند الحاجة إليه ».

والثاني: كظم الغيظ، والإحسان إلىٰ من ظلمه، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وعن زيد بن سَعْنة قال: خرج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل علىٰ راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، قرية بني فلان قد أسلموا، ودخلوا في الإسلام، وكنتُ أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رَغَدًا، وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث، وأنا أخشىٰ - يا رسول الله - أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيتَ أن ترسل إليهم من يُغيثهم به فعلتَ، قال: فنظر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ رجل إلىٰ جانبه، أُرَاهُ عمر، فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سَعْنة: فدنوتُ إليه، فقلتُ له: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا من حائط بني فلان إلىٰ أجل كذا وكذا؟ فقال: لا، يا يهودي، ولكن أَبيعُك تمرًا معلومًا إلىٰ أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان، قلتُ: نعم، فبايعني صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فأطلقتُ هِمْيَاني، فأعطيته ثمانين مثقالًا من ذهب في تمر معلوم إلىٰ أجل كذا وكذا، قال: فأعطاها الرجل، وقال: اعجلْ عليهم، وأغثهم بها، قال زيد بن سعنة: فلما كان قَبْلَ مَحَلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة، خرج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه، فلما صلىٰ علىٰ الجنازة دنا من جدار، فجلس إليه، فأخذتُ بمجامع قميصه، ونظرتُ إليه بوجه غليظ، ثم قلتُ: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله، ما عَلِمْتُكُم بني عبد المطلب بِمُطَلٍ لعلّ صواب ضبطه: بِمُطْلٍ، ولقد كان لي بمخالطتكم علمٌ، قال: ونظرتُ إلىٰ عمر بن الخطاب، وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، وقال: أيْ عدوَّ الله، أتقول لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما أسمع، وتفعل به ما أرىٰ؟! فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أُحاذر فوته - أي غضبه - لضربتُ بسيفي هذا عُنقك، ورسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ينظر إلىٰ عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: إنا كنا أحوج إلىٰ غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التِّبَاعَةِ - أي طلب الحق -، اذهب به يا عمر، فاقضه حقه، وزِدْهُ عشرين صاعًا من غيره، مكان ما رُعْتَهُ، قال زيد: فذهب بي عمر،

فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلتُ: ما هذه الزيادة ؟ قال: أمرني رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن أزيدك مكان ما رُعْتُكَ، فقلتُ: أتعرفني، يا عمر؟ قال: لا، فمن أنت؟ قلتُ: أنا زيد بن سعنة، قال: الحَبْرُ؟ قلتُ: نعم، الحَبْرُ، قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما قُلتَ، وتفعل به ما فعلتَ؟ فقلتُ: يا عمر، كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما، فأُشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نبيًّا، وأُشهدك أنّ شطر مالي – فإني أكثرُها مالًا – صدقة علىٰ أمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال عمر: أو علىٰ بعضهم، فإنك لا تَسَعُهُم كلهم، قلتُ: أو علىٰ بعضهم، فرجع عمر وزيد إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فآمن به، وصدَّقه، وشهد مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلًا غير مدبر» أخرجه ابن حبان، قال ابن حجر في الإصابة: رجال إسناده موثقون.

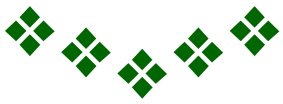

خلق التواضع

التواضع هو: إظهار ضعة النفس، فلا يرىٰ له علىٰ أحد فضلًا، ولا يرىٰ له عند أحد حقًّا، بل يرىٰ الفضل للناس عليه، وإنما يتولد التواضع من بين العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وبأسمائه وبصفاته، وتعظيمه وإجلاله، وبين معرفته بنفسه وعيوبها وآفاتها، قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

قالت عائشة: «تغفلون عن أفضل عبادة: التواضع»، ويفرق بينه وبين المهانة: أن المهانة خسة النفس وابتذالها؛ لنيل الشهوات والحظوظ الدنيوية، أما التواضع فهو إظهار الضعة؛ تعظيمًا لأمر الله جَلَّجَلَالُهُ.

وأوضح ما يظهر للآخرين فيه تواضعك أمران:

الأول: أن تتواضع في نفسك، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة لقمان:١٨].

وقد كان يدخل الإعرابي المسجد، فيقول: أيكم محمد؟ وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسجد علىٰ ماء وطين، ويجلس كما يجلس العبد، ويأكل كما يأكل العبد، ويفتش التمر، فيخرج السوس منه، ثم يأكله، ويحج علىٰ قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، ويدعو: «**اللهمّ أحيني مسكينًا، و أمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين**» أخرجه الترمذي وابن ماجه.

وفي صحيح ابن حبان عن عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاءتْ خيل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو رسلُ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأخذوا عمتي وناسًا، فلما أتوا بهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فصفّوا له، قالتْ: يا رسول الله، نأىٰ الوافد، وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة، ما بي من خدمة، فمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ومن وافدك؟**» قالت: عدي بن حاتم، قال: الذي فرَّ من الله ورسوله؟! قالت: فمُنَّ عليَّ، قالت: فلما رجع ورجلٌ إلىٰ جنبه، ترىٰ أنه علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سليه حُمْلانًا، قالت: فسألتُه، فأمر لها،

قالت: فأتيتُه، فقلتُ: لقد فعلتَ فعلةً ما كان أبوك يفعلها، فأتِهِ راغبًا أو راهبًا، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فأتيتُه، فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي، ذكر قربهم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلمتُ أنه ليس بملك كسرىٰ ولا قيصر، وعند الترمذي: قال: أتيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم، وجئتُ بغير أمانٍ ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي، قال: فقام فلقيتْه امرأةٌ وصبيٌّ معها، فقالا: إن لنا إليك حاجة، فقام معهما، حتىٰ قضىٰ حاجتهما، ثم أخذ بيدي، حتىٰ أتىٰ بي داره، فألقتْ له الوليدة وسادة، فجلس عليها، وجلستُ بين يديه، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**ما يُفرُّك أن تقول: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوىٰ الله ؟**» قال: قلتُ: لا، قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: «**إنما تفر أن تقول الله أكبر**»، وتعلم أن شيئًا أكبر من الله؟ قال: قلت: لا، وعند أحمد: قال: فقال لي: «**يا عدي بن حاتم، أسلمْ تسلم**»، ثلاثًا، قال: قلتُ: إني علىٰ دين، قال: «**أنا أعلم بدينك منك**»، فقلتُ: أنتَ أعلم بديني مني؟ قال: «**نعم، ألستَ من الركوسية**»، وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلتُ: بلىٰ، قال: «**فإن هذا لا يحل لك في دينك**»، قال: فلم يَعُدْ أنْ قالها، فتواضعتُ لها، فقال: «**أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟**» قلتُ: لم أرها، وقد سمعتُ بها، قال: «**فوالذي نفسي بيده، ليتمنّ الله هذا الأمر، حتىٰ تخرج الظعينة من الحيرة، حتىٰ تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز**»، قال: قلتُ: كسرىٰ بن هرمز؟ قال: «**نعم، كسرىٰ بن هرمز، وليبذلن المال حتىٰ لا يقبله أحد**»، وعند الترمذي: قال: «**فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارىٰ ضلّال**»، قال: قلتُ: فإني جئتُ مسلمًا، قال: فرأيتُ وجهه تبسّط فرحًا، وعند أحمد: قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة، فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنتُ فيمن فتح كنوز كسرىٰ بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة؛ لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قالها.

الثاني: أن تتواضع مع غيرك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الحجر:٨٨].

يخرج متوكّئًا علىٰ عصاه، فيقوموا له، فيقول: «**لا تقوموا كما يقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعض**»، يُمدح، فيقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»، يرتعد بين يديه رجل، فيقول: «**هوّنْ عليك، فإني لستُ بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانتْ تأكل القديد**».

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا من الأنصار كان له فحلان، فاغتلما، فأدخلهما حائطًا، فسدَّ عليهما الباب، ثم جاء إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأراد أن يدعو له، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدٌ ومعه نفر من الأنصار، فقال: يا نبيَّ الله، إني جئتُ في حاجة، وإن فحلين لي اغتلما، فأدخلتهما حائطًا، وسددتُ الباب عليهما، فأحب أن تدعو لي أن يسخِّرهما الله لي، فقال لأصحابه: «**قوموا معنا**»، فذهب حتىٰ أتىٰ الباب، فقال: افتح، ففتح الباب، فإذا أحد الفحلين قريب من الباب، فلما رأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجد له، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ائتني بشيء أشدّ به رأسه، وأمكّنك منه**»، فجاء بخِطام، فشدّ به رأسه، وأمكنه منه، ثم مشيا إلىٰ أقصىٰ الحائط إلىٰ الفحل الآخر، فلما رآه، وقع له ساجدًا، فقال للرجل: «**ائتني بشيء أشدّ به رأسه، فشدّ رأسه، وأمكنه منه**»، وقال: اذهب، فإنهما لا يعصيانك، فلما رأىٰ أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، قالوا: يا رسول الله، هذان فحلان لا يعقلان سجدا لك، أفلا نسجد لك؟ قال: «**لا آمر أحدًا أن يسجد لأحد، ولو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها**» أخرجه الطبراني.

وهو القائل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يا عائشة، لو شئتُ لسارتْ معي جبال الذّهب، جاءني ملَك إنّ حُجْزته - أي موضع عقد الإزار منه - لتساوي الكعبة، فقال: إنّ ربّك يقرأ عليك السّلام، ويقول: إنْ شئتَ نبيًّا عبدًا، وإن شئت نبيًّا ملكًا، فنظرتُ إلىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأشار إليّ أن ضعْ نفسك، فقلت: نبيًّا عبدًا**» صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

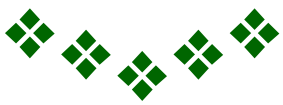

خلق الرحمة

الرحمة: هي رقة القلب، فتعطف وتحسن لمن حولك، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيُّ الرحمة - كما سمّىٰ نفسه - في ذكر أهل الجنة: «**ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم**»، وإنما تصل إليها بمحبة الناس، فمن أحببته رحمته، وسعيتَ لإيصال الخير له، ودفع الشر عنه، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣].

وفي الحديث: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»، ويفرق بينها وبين الرأفة أن الرحمة هي إيصال الخير للغير ولو من جهة يكرهها، بخلاف الرأفة فلا ألمَ معها.

وأوضح ما يظهر للآخرين فيه رحمتك أمران:

الأول: إيصال الخير للمؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة: ٦١].

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، أمّره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرَّسنا - أي نزلنا آخر الليل - ثم شنّ الغارة، فورد الماء، فقتلَ مَن قتل عليه وسبىٰ، وأنظرُ إلىٰ عُنقٍ من الناس فيهم الذراري، فخشيتُ أن يسبقوني إلىٰ الجبل، فرميتُ بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئتُ بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة، عليها قَشْع من أدَم - قال: القشع: النّطع - معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتُهم حتىٰ أتيتُ بهم أبا بكر، فنفّلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة، وما كشفتُ لها ثوبًا، فلقيني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السوق، فقال: «**يا سلمة، هبْ لي المرأة**»، فقلت: يا رسول الله، والله لقد أعجبتني، وما كشفتُ لها ثوبًا، ثم لقيني

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الغد في السوق، فقال لي: «**يا سلمة، هبْ لي المرأة، لله أبوك**»، فقلتُ: هي لك، يا رسول الله، فوالله ما كشفتُ لها ثوبًا، فبعث بها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ أهل مكة، ففدىٰ بها ناسًا من المسلمين، كانوا أُسروا بمكة. أخرجه مسلم.

وعن سلمة بن صخر الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنتُ امرأ قد أُوتيتُ من جماع النساء ما لم يُؤتَ غيري، فلما دخل رمضان، تظاهرتُ - أي ظاهرت - من امرأتي حتىٰ ينسلخ رمضان؛ فرَقًا - أي خوفًا - من أن أصيب في ليلتي شيئًا، فأتتابع - أي فأستمرّ - في ذلك إلىٰ أن يدركني النهار، وأنا لا أقدر علىٰ أن أنزع، فبينا هي تخدمني إذ تكشّف لي منها شيء، فوثبتُ عليها، فلما أصبحتُ غدوتُ علىٰ قومي، فأخبرتهم خبري، وقلتُ لهم: انطلقوا معي إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأخبرُه بأمري، فقالوا: لا، والله لا نفعل، نتخوف أن ينزل فينا قرآنًا، أو يقول فينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مقالة يبقىٰ علينا عارها، ولكن اذهب أنتَ فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجتُ حتىٰ أتيتُ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبرته خبري، فقال لي: «**أنت بذاك**»- أي أنت مقرون بذاك الذي ذكرت من الحال والفعل -، فقلت: أنا بذاك، فقال: «**أنت بذاك**»، فقلت: أنا بذاك، قال: «**أنت بذاك**»، قلت: نعم، ها أنا ذا، فأمضِ فيَّ حكم الله عَزَّوَجَلَّ، فإني صابر له، قال: «**أعتق رقبة**»، قال: فضربتُ صفحة رقبتي بيدي، وقلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أصبحتُ أملك غيرها، قال: «**فصم شهرين**»، قال: قلتُ: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: «**فتصدّق**»، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق، لقد بتنا ليلتنا هذه وحشًا - أي بلا طعام - ما لنا عشاء، قال: «**اذهب إلىٰ صاحب صدقة بني زريق، فقل له، فليدفعها إليك، فأطعمْ عنك منها وَسْقًا من تمر ستين مسكينًا، ثم استعن بسائره عليك وعلىٰ عيالك**»، قال: فرجعتُ إلىٰ قومي، فقلتُ: وجدتُ عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدتُ عند رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ السعة والبركة، قد أمر لي بصدقتكم، فادفعوها لي، قال: فدفعوها إليَّ أخرجه أحمد والترمذي.

والثاني: إيصال الخير إلىٰ كل مخلوق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالت لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يا رسول الله، هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسي علىٰ ابن**

عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلىٰ ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهموم علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب - قيل: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد علىٰ مرحلتين من مكة -، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئتَ فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين - أي جبلي مكة -، فقال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا» متفق عليه، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قيل: يا رسول الله، ادعُ علىٰ المشركين، قال: «إني لم أبعثُ لعّانًا، وإنما بعثت رحمة» أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن جعفر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: دخل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومًا حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجرجر - الجرجرة: صوت البعير عند الضجر -، وذرفت عيناه - في رواية: فلما رأىٰ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حنَّ وذرفتْ عيناه - فمسح رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَرَاتَهُ - أي ظهره - وَذِفْرَاهُ - أي مؤخر رأسه -، فسكن، فقال: «من صاحب الجمل؟» فجاء فتىٰ من الأنصار، فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إلي أنك تجيعه وتُدئبه - أي تتعبه-» أخرجه أحمد وأبو داود.

وعن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «لن تؤمنوا حتىٰ تراحموا، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة» أخرجه الطبراني.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [سورة إبراهيم:٣٦] الآية، وقال: عيسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة:١١٨]، فرفع يديه، وقال: «اللهم أمتي أمتي، وبكىٰ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد - وربك أعلم - فسلْه ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فسأله، فأخبره رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما قال - وهو أعلم -، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك» أخرجه مسلم.

فهرس الكتاب

تمهيد..... ٣
خلق الشجاعة ٤
خلق الكرم..... ٦
خلق الحِلم ٩
خلق التواضع..... ١٢
خلق الرحمة..... ١٥
فهرس الكتاب..... ١٨